آخر صور النار

حول مقتل خمسة مصورين صحفيين، بنيران جماعة الحوثي، في محافظة تعز جنوب اليمن أثناء تغطيتهم للأحداث

المحتويات:

ملخص تنفيذي .....

خلفية: الحرب والصحافة .....

كتيبة المصورين .....

- الاستهداف
- القنص: غرب تعز
- القصف المدفعي: شرق تعز
- القصف الصاروخي: جنوب تعز

شهادات الناجين في مقتل خمسة مصورين .....

المسؤولون عن الانتهاكات .....

النتائج النهائية .....

التوصيات .....

مركز الإعلام الحر | فري ميديا
للصحافة الاستقصائية

مركز الإعلام الحر، منظمة تسعى إلى تعزيز منهجية العمل الاستقصائي من أجل صناعة مستقبل جديد للصحافة اليمنية، ويركز "الإعلام الحر" جهودها على الحفر في قصص صحفية على مستوى عال من حيث التأثير، معطيا الأولوية لنوعية المواد المنشورة على صفحاته عوض التركيز على كمها أو سرعة إنجازها. وينصب تركيزنا على القضايا التي تؤثر على مجتمعنا؛ في كافة القطاعات، الصحة، التعليم، التنمية، الأمن، العدالة، حقوق الإنسان، وقضايا النساء، والبيئة، والتغيّر المناخي، وقضايا الفساد.

ونعتمد في أسلوبنا على "الصحافة المتأنية" القائمة على المقابلات، والعمل الميداني والبحثي المستند لمصادر محققة. وتسعى قصصنا للذهاب بعيدا في نبش الظواهر بغية الإجابة على سؤالين مركزيين: كيف ولماذا. ويجري تحريرها وفقاً لأعلى المعايير الصحفية من الناحيتين الأخلاقية والمهنية. وتمثل خلاصة مجهود العاملين في مركز الإعلام الحر-فري ميديا من صحفيين وحقوقيين وتقنيين وهي ليست حشدا للمعلومات من مواقع أخرى. تركز "فري ميديا" على توضيح العلاقات والأنماط للظواهر والأحداث المرتبطة باليمن بغض النظر عن مكان وقوعها حول العالم، مع الحرص على عدم التهاون في الالتزام بالمبادئ الصحفية التي توجه عملنا: التوازن، الموضوعية، الدقة وخدمة الصالح العام.

مشروع
من أجل الحقيقة

«من أجل الحقيقة»: فكرة مشروع متجدد يعمل من أجل السعي لتحقيق العدالة للجرائم المرتكبة ضد الصحفيين. يتكون المشروع في المرحلة الثانية من سلسلة من التحقيقات في الحالات التي قُتل فيها صحفيًا لقيامه بوظيفته. الهدف من هذه التحقيقات هو إحضار حقائق ومعلومات في سياق عمليات القتل، من أجل إعادة هذه القضايا إلى الواجهة، مما يمهد الطريق لمتابعة العدالة والمساءلة. ويعد مشروع «من أجل الحقيقة» بمثابة مبادرة تعاونية نفذه مركز الإعلام الحر، بدعم من معهد DT.

ملخص

أثناء محاولته الفرار إلى مكان آمن بعيد عن خطر الاشتباكات، سقط المصور الصحفي أحمد الشيباني في منتصف الطريق برصاصتي قناص. التقطت عدسة زميله المصور عبدالعزيز الذبحاني، مشهد الاستهداف الذي وقع بتاريخ **16**فبراير/ شباط سنة **2016**، في محافظة تعز جنوبي اليمن.

من المؤسف للوسط الإعلامي في اليمن، أن هذه الحادثة لن تكن الوحيدة التي لحقت بالمصورين الصحفيين في المحافظة التي شهدت غلياناً على مختلف جبهات الحرب التي وصلت تعز سنة **2015**. ففي **26**مايو/أيار **2017**، سقط ستة مصورين، ثلاثة قتلى وثلاثة جرحى، شرق مدينة تعز، ذهبوا لتغطية الاشتباكات وتوثيق آثار الدمار الذي خلفته الحرب قرب خطوط المواجهة بين أطراف الصراع التي شكلتها الحرب: مسلحو جماعة الحوثي مسنودين بالفصائل العسكرية التابعة للرئيس السابق علي عبدالله صالح من جهة، والجيش التابع للحكومة المعترف بها، مسنوداً بمسلحين مدنيين انتظموا تحت مسمى المقاومة الشعبية، من جهة أخرى.

بعد حوالى سبعة أشهر، وتحديداً بتاريخ **22** يناير/كانون الثاني**2018**، قتل المصور محمد القدسي، بقصف صاروخي على منطقة الخيامي جنوبي محافظة تعز، بعد تغطيته لفعالية أمنية تابعة لأجهزة الحكومة المعترف بها، وتداعيات قصف صاروخي للمناطق السكانية القريبة موقع الفعالية.

في الواقع، فإن الإجراءات الرسمية في حالات الاستهداف التي أدت إلى مقتل المصورين الخمسة، لم تتجاوز إجراءات المباحث الجنائية والتي تكتفي بإعداد تقرير مكون من عدة صور فوتوغرافية توضح مكان إصابة الضحية وشكلها وحجمها، وبعض التفاصيل مثل "اسم الضحية، وتاريخ استهدافه، والمكان الذي سقط فيه.

صورة بقايا كاميرا المصور تقي الدين الحذيفي
تصوير: خالد السعيد

مركز فري ميديا للصحافة الاستقصائية، عمل على التحقيق في حوادث قتل خمسة مصورين، في محافظة تعز، إذ جمعنا المعلومات بالمرحلة الأولى، ثم وثقنا إفادات الشهود بإجراء مقابلات مع زملاء المصورين الذين كانوا برفقتهم أثناء الاستهداف. منهم من نجا من الموت بأعجوبة. ومنهم من أصيب وبترت أطرافه. إضافة إلى مقابلات مع أقارب الضحية لمعرفة الإجراءات التي قاموا بها، كما أجرينا تحليلاً فنياً وتقنياً معمقاً للمحتوى البصري في مقتل اثنين من المصورين.

وقد لخص التقرير الذي قمنا به، إلى النتائج الآتية:

أولاً: المصورون الخمسة

وجد فريق التحقيق، أن أحمد الشيباني، تقي الدين الحذيفي، وائل العبسي، سعد النظاري، ومحمد القدسي، قتلوا أثناء تأدية العمل الصحفي، حيث حمل هؤلاء المصورون الشجعان المسؤولية للقيام بمهمة تزويد المجتمع المحلي والخارجي بالمعلومات ونقل صورة الأحداث المرتبطة بالحرب في محافظة تعز وتوثيق آثارها وتداعياتها.

ثانياً: العمل في بيئة خطرة

المواطنون الصحفيون، أو الخمسة المصورون، الذين قتلوا، كانوا قد انخرطوا للعمل مع وسائل إعلامية محلية وخارجية، عدا مصور واحد، هو سعد النظاري، والذي كان يعمل موثقاً لصالح فصيل عسكري. أحمد الشيباني، كان متعاقدة مع الفضائية اليمنية التابعة للحكومة المعترف بها. تقي الدين الحذيفي متعاوناً مع قناتي العربية والحدث والجزيرة مباشر، وائل العبسي مصوراً للفضائية اليمنية، محمد القدسي كان متعاوناً مع قناة بلقيس ومزوداً لبعض وسائل الاعلام المحلية والخارجية، ورغم أنهم لم يخوضوا تجارب في التغطية الصحفية في الأوضاع المعقدة، إلا أن أربعة منهم نزلوا للتغطية الميدانية في جبهات خطرة: الشيباني، الحذيفي، النظاري، العبسي. كان تقي الدين الحذيفي يرتدي درع الحماية الصحفية يوم استهدافه. ومع ذلك لم ينجُ من القتل.
بينما كان المصور محمد القدسي بعيداً عن خطوط النار، يوم استهدافه. لم يكن بحاجة إلى مستلزمات الحماية الصحفية، سقط صاروخ من بعيد أودى بحياته على الفور.

ثالثاً: الإجراءات الرسمية

في الغالب، فإن الضحايا الذين يسقطون على ذمة الصراع في اليمن، لا يملكون أي ملفات قضائية في مؤسسات إنفاذ القانون، كما أن المؤسسات الرسمية المخولة بإجراء التحقيقات وجمع الاستدلالات، لاتقوم بمهامها لتحقيق العدالة في مثل هذه الحالات، الأمر الذي يسمح باستمرار الانتهاكات بحق الإعلاميين، بمختلف فئاتهم، بما في ذلك المواطن الصحفي.

رابعاً: المسؤولون

الأدلة التي توصلنا إليها في هذا التحقيق، تشير إلى جماعة الحوثي «أنصار الله» كطرف مسؤول عن مقتل خمسة مصورين في تعز، قناص الجبهة الغربية في تعز، مسؤول عن مقتل أحمد الشيباني بتاريخ: 16فبراير/شباط سنة **2016**. مدفعية الجبهة الشرقية، التابعة لجماعة أنصار الله/ الحوثيين مسؤولة عن مقتل تقي الدين الحذيفي، ووائل العبسي، وأسعد النظاري، وإصابة ثلاثة آخرين بتاريخ: **26**مايو/أيار **2017**، بينما تتحمل القوة الصاروخية التابعة لجماعة الحوثي المسؤولية عن مقتل المصور الصحفي محمد القدسي، بتاريخ: **22** يناير/كانون الثاني **2018**، حسب الأدلة التي توصل إليها فريق مركز فري ميديا.

وبحسب النتائج، فإن أهم توصية يقدمها مركز فري ميديا للصحافة الاستقصائية في توصياته، ما يلي:

فتح تحقيق فوري في الجرائم المرتكبة ضد الصحفيين، من قبل جميع الأطراف المتحاربة في اليمن منذ عام **2015**، على المجتمع الدولي أن يضغط لتحقيق ذلك، وعلى الجهات الرسمية التابعة للحكومة أن تقوم بدورها في جرائم الانتهاك بحق الصحفيين، وينبغي أن يوجه هذا التحقيق إلى الأدوار التي لعبها كل المتورطين بعملية قتل الصحفيين ولا يقتصر على المنفذين فقط، وينبغي لجميع التحقيقات أن تولي اهتماما خاصا لتسلسل القيادة، وبخصوص ما ورد في هذا التقرير، يتوجب الضغط على جماعة الحوثي لتقديم المنفذين إلى التحقيقات، الذين أطلقوا نيران القناصة والمدفعية والصواريخ، ما أوقع خمسة من المصورين قتلى، وإصابة عدد منهم أيضاً.

خلفية: الحرب والصحافة

تعد محافظة تعز اليمنية، نقطة وصل بين شمال البلاد وجنوبها، ذلك أن موقعها الجغرافي قريباً من العاصمة الاقتصادية عدن، كما أن محافظة تعز تحتوي منفذا بحرياً هاماً هو ساحل المخا القريب من باب المندب.

ومع استيلاء مسلحي جماعة الحوثي والعناصر الموالية للرئيس الأسبق علي صالح، على مؤسسات الدولة في العاصمة صنعاء، وتمددها في محافظات أخرى، اقتحمت محافظة تعز سنة **2015**، واصطدمت بمقاومة من قبل المسلحين المدنيين الذين انضووا تحت مسمى المقاومة الشعبية ليسندوا قوات الجيش التي رفضت التسليم للحوثيين.

وكانت تعز قد اختيرت عاصمة اليمن الثقافية سنة 2013، وتعتبر أكثر المحافظات من حيث نمو عدد السكان، ومنذ 2015 «حاصر الحوثيون المناطق التي تسيطر عليها الحكومة من مواقعهم حول المدينة ويواجهون اتهامات بقصف مناطق سكنية ومستشفيات دون تمييز، وكذلك تقييد دخول المعونات الإنسانية» [1] .

أغلق الحوثيون الطرق الرئيسية المؤدية إلى مناطق سيطرة الحكومة المعترف بها دولياً، في محافظة تعز، وتتهم منظمات حقوقية وإنسانية جماعة الحوثي بمنع «قوافل الإغاثة الإنسانية من الوصول إلى السكان والمتضررين من الحرب» كما يتهم أبناء تعز الحوثيون بحرمان «السكان من حقهم في الحصول على الدواء والغذاء وحرية التنقل» [2] .

دخول اليمن، في دوامة الحرب قبل عشر سنوات، انعكس على وضع اليمنيين بمختلف فئاتهم، ومنهم الصحفيين اليمنيين في المجمل «فإلى جوار فقدانهم لوظائفهم، فُرضت قيودًا صارمة على مهنة الصحافة واعتبار الصحفيين أخطر من المحاربين في صفوف الأعداء، حسب تصريح زعيم جماعة الحوثي «أنصار الله» في أحد خطاباته» [3] .

وبين **2015** وحتى **2022**، كانت المنظمات الدولية والمحلية قد رصدت «نحو **3000**انتهاك ضد الصحفيين بينها **49** واقعة قتل، وتوزعت بقية الانتهاكات بين الاعتقال التعسفي والإخفاء القسري والتعذيب والملاحقات، إلى جانب إغلاق المؤسسات الإعلامية وحجب المواقع الالكترونية» [4] .

نال العاملون في مجال الاعلام والصحافة في محافظة تعز، نصيباً كبيراً من هذه الانتهاكات، رصد مركز فري ميديا للصحافة الاستقصائية مقتل **12** صحفياً في المحافظة نتيجة الحرب. بعد تسارع الأحداث واشتداد الحصار على كثافة عالية من السكان، ظهر المواطنون الصحفيون، للقيام بدورهم المهم والمحوري بتزويد الجمهور المحلي والخارجي بالمعلومات، من بينهم الخمسة المصورين القتلى، الذين حقق مركز فري ميديا للصحافة الاستقصائية تفاصيل قتلهم، ووثقها في هذا التقرير.

1 | الصراع في اليمن: رعب الحياة في ظل الحصار في تعز.. تقرير **BBC**، تاريخ النشر: **1** ديسمبر كانون الأول **2016**
2 | يمنيون يحتجون على "جريمة القرن" المستمرة في تعز منذ عام **2015**، تقرير الجزيرة نت، تاريخ النشر: **16** يوليو **2023**
3 | نزيف الصحافة: تقرير أصدره مركز فري ميديا سنة **2022**
4 | المصدر السابق.

كتيبة المصورين

مع اندلاع الحرب في اليمن، برز المواطن الصحفي، الذي حمل على عاتقه تزويد العالم بالمعلومات الموثقة بالصوت والصورة، بعدئذ، استعانت بعض القنوات المحلية والأجنبية بالمصورين لتزويدهم بالمواد المرئية اللازمة.

كانت قد تشكلت مجموعة كبيرة من المصورين في مدينة تعز تحديداً، أطلقت المجموعة على نفسها اسم "كتيبة زوم"، في إشارة إلى أن التصوير والتوثيق الذي يقومون به لا يقل شأناً عن عمل الكتائب العسكرية [5] .

كان المصورون يتحركون بحيطة وشجاعة كلما سمعوا قصفاً أو اشتباكات. يريدون إيصال صوت محافظة تعز إلى العالم، تفاقم المأساة الإنسانية يستدعي ذلك، قصف واشتباكات، إضافة إلى حصار خانق تم إطباقه بعد تمركز مسلحو جماعة الحوثي على الطرقات الرئيسية.
من بين هؤلاء المصورين، الخمسة الذين سيقتلون أثناء عملهم، وهم:

1. **أحمد عبداللطيف الشيباني**، **30** عاماً، تعاقدت معه قناة اليمن الفضائية التابعة للحكومة المعترف بها.
2. **تقي الدين الحذيفي**، **26** عاماً، كان متعاوناً مع قناتي العربية والحدث والجزيرة مباشر.
3. **وائل العبسي**، **23** عاماً، كان يعمل لصالح قناة اليمن التابعة للحكومة المعترف بها.
4. **سعد النظاري**، الذي كان يوثق لأحد الجهات العسكرية.
5. **محمد غالب القدسي**، **30** عاماً، متعاونا مع عدد من وسائل الاعلام الأجنبية والمحلية، آخرها قناة بلقيس.

الاستهداف

اختلفت أماكن وأزمنة استهداف المصورين الخمسة، لكن النتيجة واحدة: القتل، رغم أن أشكال الاستهداف تنوعت، بترتيبها حسب تاريخ وقوعها: القنص، القصف المدفعي، القصف الصاروخي.

القنص: غرب تعز

كان المشهد قاس، أصوات الاشتباكات لا تتوقف، دخان الحريق الذي سببه القصف على أحد المصانع من الأسباب التي أثرت على مقطع الفيديو الذي يوثق مقتل المصور أحمد الشيباني، يظهر المصور وهو يجري في وسط الشارع متجهاً إلى زملائه لتلافي خطر الاشتباكات المحتدمة بين الجيش التابع للحكومة المعترف بها مسنوداً بالمسلحين المدنيين تحت اسم المقاومة الشعبية، مع مسلجي جماعة الحوثي مسنودة بأنصار الرئيس الأسبق علي صالح العسكريين، كانوا يحملون اسم "الجيش واللجان".

كانت المعركة غربي مدينة تعز، وقد ذهب الشيباني لتغطية الحريق الهائل الذي اندلع في مصنع هزاع طه للمواد البلاستيكية، في منطقة الحصب غربي المدنية. يوثق مقطع الفيديو أحمد الشيباني وهو ينطلق من جوار بناية، وسط الشارع، غربي مدينة تعز، لكنه يسقط قتيلاً قبل أن يصل جادة الأمان [6] .

6 | حسب المعلومات التي توصل لها فريق فري ميديا من زملاء الشيباني، بالإضافة إلى تحليل مقطع الفيديو الذي وثق مقتل المصور

القصف المدفعي: شرق تعز

بعد سنة وأربعة أشهر تقريباً، كانت المعارك بين الأطراف ذاتها، محتدمة شرقي مدينة تعز، صباح يوم الجمعة الموافق **26** مايو/أيار **2017** ذهب سعد النظاري لتغطية المعارك، كان يعمل موثقاً لإحدى الكتائب العسكرية، شظايا قذيفة سكنت جسده، ظل ينزف، ولم يتمكن الإسعاف من الدخول إلى المكان الذي يتواجد فيه النظاري ففارق الحياة، وبعد وقت وجيز، جاء خمسة مصورين آخرين، لتغطية ما يدور إضافة إلى توثيق حالة الدمار التي خلفتها الحرب في المنطقة، كانت أصوات قذائف الهاوون والدبابات تدوي بشكل هيستيري، ذهب المصورون الخمسة، كانوا يعملون مع وسائل محلية وخارجية، وبعد تصويرهم لبعض اللقطات سقطت عليهم قذيفة هاوون. قتل تقي الدين الحذيفي، الذي كان يعمل كمصور متعاون مع قناتي العربية والحدث، وقتل أيضاً وائل العبسي، كان يعمل مصوراً لقناة اليمن الرسمية التابعة

للحكومة المعترف بها، بينما أصيب أسيد العديني، كان يصور لقناة سهيل، وأصيب صلاح الوهباني والذي ستبتر يده فيما بعد، ووليد القدسي، الذي بترت قدمه في تلك اللحظات

للحكومة المعترف بها، بينما أصيب أسيد العديني، كان يصور لقناة سهيل، وأصيب صلاح الوهباني والذي ستبتر يده فيما بعد، ووليد القدسي، الذي بترت قدمه في تلك اللحظات [7].

القصف الصاروخي: جنوب تعز

لم يستطع المصورون توثيق الاستهداف الذي جرى لهم بالصوت والصورة، كما في حادثة استهداف المصور أحمد الشيباني، في حالة استهداف ثالثة وقعت في **22** كانون الثاني/يناير **2018**، سيتمكن مصور قناة بلقيس محمد القدسي، من توثيق أشلاء ضحايا القصف الصاروخي، من المدنيين في ريف تعز الجنوبي. كان الضحايا بعيدين عن مواقع الاشتباكات بين الجيش والمقاومة من جهة، والحوثي وأنصار صالح العسكريين من جهة أخرى. في اليوم نفسه كانت هناك فعالية أمنية تتبع الجهات العسكرية التابعة للحكومة المعترف بها، بعد انتهاء الفعالية التي قدم محمد لتغطيتها، سقط صاروخ على المعهد التقني الذي احتضن الفعالية العسكرية، أصاب المصور محمد القدسي مباشرة، وحوله إلى أشلاء متفحمة [8].

7 | طبقاً لشهادات الناجين، التي وثقها مركز فري ميديا للصحافة الاستقصائية.
8 | استناداً إلى شهود عيان

لا اجراءات

يعتقد الصحفي محمد الحذيفي، والد المصور تقي الدين، في مقابلته مع فريق المركز، أن الجهات الرسمية ممثلة بالبحث الجنائي والطب الشرعي وثقت الحالة، بالإضافة إلى اللجنة الوطنية للتحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان.

في الواقع لم تقم النيابة العامة بدورها في التحقيق بواقعة مقتل أحمد الشيباني، وتقي الدين الحذيفي، ووائل العبسي وسعد النظاري، ومحمد القدسي، ولا بكافة الجرائم والانتهاكات التي تعرض لها الصحفيين في اليمن على ذمة الصراع. وبحسب مقابلات وتقصي أجريناها لمعرفة إجراءات الأجهزة الحكومية المخولة بالتحقيق في مقتل المصورين الخمسة، اتضح لنا أن كل ما فعلته هذه الأجهزة، هو إعداد تقرير جنائي فني مصور، أعده موظف حديث في قسم الأدلة الجنائية بالبحث الجنائي في تعز، كان يعمل قبل ذلك سائق دراجة نارية، وهذا التقرير مكون من عدد **11** صفحة، ويحتوي على **12** صورة فتوغرافية توضح مكان إصابة الضحية وشكلها وحجمها، وكذلك بعض تفاصيل واقعة القتل.

وبحسب التوصيف القانوني، فإن ما تعرض له المصورون الخمسة، أحمد الشيباني، تقي الدين الحذيفي، وائل العبسي، سعد النظاري، محمد القدسي، يعتبر جريمة جسيمة في القانون اليمني، وفقاً لقانون الاجراءات الجزائية وبالتالي يتوجب على مأموري الضبط القضائي بحسب نصوص المواد **(91)** باستقصاء الجرائم وتعقب مرتكبيها وفحص البلاغات والشكاوى، وجمع الاستدلالات والمعلومات المتعلقة بها وإثباتها في محاضرهم وإرسالها إلى النيابة العامة. وهذه ما لم يحدث.

بينما تنص المادة **(92)** من قانون الإجراءات الجزائية، أنه إذا بلغ رجل الضبط القضائي أو علم بوقوع جريمة ذات طابع جسيم وجب عليه أن يخطر النيابة العامة، وأن ينتقل فوراً إلى محل الحادث للمحافظة عليه، وضبط كل ما يتعلق بالجريمة وإجراء المعاينة اللازمة، وبصفة عامة أن يتخذ جميع الإجراءات للمحافظة على أدلة الجريمة، وما يسهل تحقيقها، وله أن يسمع أقوال من يكون لديه معلومات عن الوقائع الجزائية ومرتكبيها، وعليه إثبات ذلك في محضر التحري وجمع الاستدلالات، ويوقع عليها هو والشهود الذين سمعهم والخبراء الذين استعان بهم، وتحرر محاضر التحري وجمع الاستدلالات التي يقوم بها رجال الضبط القضائي طبقا لما تقدم إرسالها إلى النيابة العامة للتصرف فيه. وهذا ما لم يحدث.

شهادات الناجين في مقتل خمسة مصورين

تمكن فريق مركز فري ميديا للصحافة الاستقصائية، من مقابلة الناجين في الثلاثة الحوادث التي أدت إلى مقتل خمسة مصورين، قام الفريق بمطابقة المعلومات والتحقق منها وتوثيق الشهادات، ومن ثم عرضها على خبراء لإجراء تحليل منهجي، يساهم في تحقيق العدالة للضحايا.

1. الشيباني

اتجه أحمد الشيباني، في فبراير/شباط **2016** مع مجموعة من الصحفيين والصحفيات، لتغطية المعارك الدائرة بين قوات الجيش التابع للحكومة مسنوداً بمسلحي المقاومة الشعبية، وبين مسلحي جماعة الحوثي «أنصار الله» مسنوداً بفصائل عسكرية تابعة للرئيس الأسبق علي صالح، في منطقة الحصب غرب مدينة تعز.

كان الحوثيون يسيطرون على تلة اسمها "الأرانب"، تطل على شارع الحصب غرب المدينة، إضافة إلى تمركز القناصين فوق مبانٍ مرتفعة تطل على شارع المرور، تحديداً على المكان الذي يقطع منه المارون الشارع إلى الضفة الآمنة.

بعد الانتهاء من تغطية الاشتباكات والحريق الذي نشب في أحد مصانع هزاع طه في نفس المنطقة، تقول الصحفية آفاق الحاج:« كان علينا اجتياز الشارع للعبور إلى الجانب الآخر ومغادرة المنطقة بأمان».
اجتاز الصحفيان أحمد البكاري وعبدالعزيز الذبحاني، المكان أولاً إلى الضفة المقابلة، بينما كان أحمد الشيباني إضافة إلى الصحفيتين آفاق الحاج ونعائم خالد، يتأهبن للعبور الخاطف يقول الذبحاني: «فكرت بتوثيق وجود الصحفيات، مشهد عظيم وصورة جبارة لواقع الإعلام اليمني وكفاح الصحفيات اليمنيات في هذا التوقيت».
أثناء عبورهن، تقول آفاق: «سمعت أحد الزملاء يصرخ أحمد.. أحمد.. لم أكن أعلم ماذا حدث؟» تضيف: «بعد عبوري للجانب الآخر التفت وأراه ـ أي أحمد الشيباني ـ ملقى على الأرض والدماء تنزف من رأسه».
قال البكاري: «لاتزال صوت طلقة اختراق رصاصة القناص لرأس الزميل أحمد الشيباني تدوي في أذني حتى اليوم».

2. النظاري، الحذيفي، العبسي

ستة مصورون سقطوا في ذلك اليوم..
قتل ثلاثة وإصابة ثلاثة، شرقي مدينة تعز. الجمعة **26** مايو/أيار **2017**، كان يوماً دامياً، للصحافة اليمنية.

والمعارك على أشدها بين الجيش التابع للحكومة المعترف بها، وبين جماعة الحوثي، قرب معسكر التشريفات شرق مدينة تعز، ذهب خمسة متعاونون مع وسائل إعلام محلية وخارجية، لتغطية الاشتباكات، التي تدور بين الجيش التابع للحكومة المعترف بها دوليًا وبين جماعة الحوثي، كان قد قتل زميلهم الذي سبقهم للمكان: سعد النظاري. بعد وقت قصير سيقتل تقي الدين الحذيفي، ووائل العبسي. ويصاب وليد القدسي، صلاح الوهباني، وأسيد العديني.

كان سعد النظاري، يعمل مصوراً مع كتائب محسوبة على السلفيين، قد أصيب قبلهم بوقت قصير، ظل ينزف، ولم يتمكن الإسعاف من الدخول إلى المكان، فارق سعد النظاري الحياة.
لأنه يعمل مع سلفيين، فقد دُفن النظاري على الفور، حتى الإجراءات الروتينية المتمثلة بالتقرير المصور للمباحث الجنائي لم يتم: من أشرف على اسعافه ودفنه، متشددون يكرهون التصوير. «حصلنا على ورقة وفاة فقط». [9]

ابتعد المصورون الخمسة عن أعين المسلحين المتشددين الذين يكرهون التصوير، تقدموا إلى خطوط النار، أحد القيادات العسكرية وجههم بالعودة إلى الخلف خوفاً على حياتهم، عادوا إلى الخلف بالفعل، دخلوا إحدى البنايات، ظنوا أنهم في مأمن، حتى سقطت قذيفة هاون بالقرب منهم، قتل اثنان، وأصيب ثلاثة اثنان منهم بترت أطرافهم.

نجا المصور وليد القدسي من الموت، ولكن قدمه بُترت، في شهادته أكد المصور الذي كان يعمل مع قناة عدن الفضائية التابعة للحكومة: «كان معنا كاميرا وثقت الحادثة نفسها، صورت وقوع القذيفة، صورت أثناء الإسعاف تم تداول هذه اللقطات في معظم القنوات» يضيف: «طبيعة عملنا، تصوير وتوثيق ما يحدث في مدينة تعز، سواء في الجبهات، أو القصص الانسانية في مخيمات النازحين».

9 | مقابلة مع مقربين من النظاري في يوليو/حزيران **2024**

في ذلك اليوم كان القصف هيستيرياً، يؤكد صلاح الوهباني، المصور الذي تمزقت أعصاب يده في الاستهداف، تقدم المصورون الخمسة إلى مواقع اشتباكات متقدمة، بحسب الوهباني: «كنا معرضين للكشف، وتنفيذاً لأوامر قائد الجبهة بالانسحاب للخلف حتى نكون في أمان، عدنا للخلف».
عاد المصورون إلى قرب بناية خلف خطوط النار، بدأوا بتصوير بعض اللقطات لآثار الدمار الذي خلفته الاشتباكات، بعدها يقول أسيد العديني، المصاب الثالث الذي يصور لصالح والده مراسل قناة سهيل: «سقطت قذيفة هاون تسقط بالقرب منا» يتابع: «تتطاير إليَّ حجر، أصابتني بكدمات. اعتقدت بأن الكل مثل حالتي، لم يصابوا إصابات خطيرة، قمت بتصوير دخان الضربة، تفاجأت بصوت وليد القدسي يصرخ: قدمي قدمي».
حمل أسيد العديني زميله وليد القدسي ليتجه به إلى داخل البناية، في الأثناء رأوا زميلهم وائل العبسي الذي كان يعمل يعمل متعاوناً مع الفضائية اليمنية، مصاباً على الأرض، طلب أسيد من وائل أن يتبعه إلى الداخل خوفاً من سقوط قذيفة أخرى، لكن وائل أومأ برأسه يمينًا ويسارًا بمعني أنه لا يستطيع النهوض.
بعدما حط أسيد زميله القدسي في البناية، يقول القدسي: «شاهدت عظم قدمي قد اجتثت منها» «تم قطع الجلد الذي كان متبقي من قدمي، كان صلاح الوهباني يصيح: يدي يدي».

عاد أسيد إلى وائل، للأسف، كان وائل: «ينازع.. عندما قمت بأخذه لمستُ أحشائه.. كان الموقف صعب.. لا يوصف.. لا تصفه الكلمات.. أخذته إلى الداخل، ماهي إلا لحظات وفارق الحياة».

خرج أسيد، مرةً أخرى للبحث عن صلاح الدين الوهباني، وتقي الدين الحذيفي الذي كان متعاوناً مع قناتي العربية والحدث بالإضافة إلى قناة لجزيرة، يقول أسيد: «تفاجأت أن تقي الدين الحذيفي، جثة، كانت إصابته بالغة كون القذيفة سقطت بالقرب منه» مع أن الحذيفي الوحيد الذي يرتدي درع حماية الصحفيين.

3. محمد القدسي

لم يكن المصور محمد القدسي بحاجة إلى درع حماية الصحفيين. في المهمة التي ذهب في يناير/ كانون الثاني **2018**، بعيدة عن خطوط النار. حتى وإن كان يرتدي درع الحماية لم يكن لينجو، صاروخ حط على المصور الذي يبلغ من العمر **30** عاماً.

يزود القدسي العاملين في وسائل الإعلام الأجنبية والمحلية بالمواد التي يصورها هنا وهناك. في**22** كانون الثاني/ يناير **2018**، كان المصور برفقة مراسل قناة بلقيس لتغطية فعالية تخرج دفعة جديدة لقوات الأمن، في منطقة الخيامي مديرية المعافر جنوب محافظة تعز.

أنهت أصوات الانفجارات القوية الفعالية، وفرقت المحتفلين في المعهد التقني، وغادر المسؤولون في مؤسسات الحكومة المعترف بها المكان، أكد مراسل القناة فواز الحمادي: «عند خروجنا من المعهد، سمعنا صرخات ونداء استغاثة من المواطنين في القرية المجاورة للمعهد التقني، كان الناس يتحدثون عن سقوط صواريخ على القرية، ما أدى إلى مقتل وجرح عدد من المدنيين». وإثر ذلك انطلق المصور محمد القدسي وفواز الحمادي لتوثيق المجزرة التي لحقت بعدد من المدنيين الأبرياء الذين كانوا يجلسون أمام منزلهم في القرية: «وجدنا أشلاء ضحايا فارقوا الحياة». قال الحمادي، وتابع: «سقط عليهم الصاروخ بشكل مباشر. كان المشهد صادم جداً».

الصحفي محمد مارش والذي كان في طريقه إلى المنطقة قادماً من عدن، علم بنبأ المجزرة من الصحفي بشير عقلان، المراسل السابق لقناة روسيا اليوم، حينها تواصل مارش مع محمد القدسي للحصول على مواد يزود بها وكالة رويترز، بحسب إفادته التي وثقناها في مركز فري ميديا، وقد أبلغه القدسي بأنه ترك قرص الذاكرة عند أحد حراس بوابة المعهد التقني، وطلب منه الانتظار هناك بالقرب من المعهد.

جاء محمد القدسي واتجه لجلب الذاكرة من البوابة، يقول مارش: «في هذه الأثناء سمعنا صوت صفير وانفجار كبير، طارت السيارة إلى الأعلى وعادت، امتلأ المكان بالغبار والدخان، لم أعلم ما الذي حصل، حاولت انزل من الباب لم يفتح، دخل عمود خرسانة من نافذة السيارة» بعد ذلك، يضيف مارش: «شاهدنا بشير والدم يخرج من أذنيه. كانت فاجعة».

في تلك اللحظات، لم يكن لدى مارش أي فكرة عن وضع محمد القدسي، ولهذا اتجه لإسعاف بشير بسيارة أحد المواطنين إلى مستشفى الصفوة وسط مدينة تعز، عندما وصل فواز إلى المستشفى، وأخبروه بأن زميله القدسي في ثلاجة الموتى، ذهب إلى هناك، يتذكر: «كان جسمه متفحماً، وقد تغيرت ملامح وجهه» «كانت لحظة صدمة مؤلمة جداً ولا أستطيع أن أنساها أبداً».

المسؤولون عن الانتهاكات:

أظهر مقطع الفيديو، المصور أحمد الشيباني وهو يجري من خلف بناية، ليقطع الشارع من الناحية الغربية الشمالية، إلى الشرقية الجنوبية حيث وصل زملاؤه، الجزء من الشارع الذي حاول المصور الشيباني قطعه، واضح أمام مرأى مسلحي الحوثي وصالح، في ذلك الوقت.. سقط الشيباني بوسط الشارع.. بتحليل فريقنا الفني لمصدر النيران وطريقة سكونها في رأسه، معاينة المكان والمسافات، تشيران بوضوح إلى مسؤولية مسلحي الحوثي وصالح في ذلك الوقت باستهداف المصور الصحفي [10] .

الشهادات التي وثقناها، من أربعة صحفيين، تؤكد ذلك: «باشره الحوثيون برصاصتين مباشرتين في الرأس سقط على إثرها شهيدًا» قال الذبحاني الذي التقط مشهد قنص الشيباني، استمر القنص، وأحمد الشيباني ملقى على الأرض «حاول مجموعة من المتواجدين ـ من مسلحي المقاومة سحب أحمد من وسط الرصيف، كانت مغامرة خطيرة، وتمكنوا من سحبه إلى أحد الأطقم العسكرية وإسعافه إلى مستشفى الروضة لكنه كان قد فارق الحياة».

في الاستهداف الذي أودى بحياة المصورين سعد النظاري، وتقي الدين الحذيفي، ووائل العبسي، وثقنا شهادة المصابين الذين نجوا من الموت بأعجوبة، أكد لهم أشخاصاً يسكنون شرقي تعز، أن مدفع الهاوون التابع لجماعة الحوثي، كان يتواجد تلة مطلة على المكان الذي كان يتواجد فيه المصورون الخمسة، لم يكن المصورون يعرفون أن الحوثيين يستطيعون رؤيتهم من خلال المنظار بوضوح، يؤكدون: «استهدافنا من قبل الحوثيين كان متعمدًا».

واجه فريق فري ميديا، في هذا التقرير، مهمة صعبة في تحديد الطرف المسؤول عن قتل المصور محمد القدسي، لن يستطيع الشهود تحديد المواقع الذي تم استهدافهم منها، كما في حادثة مقتل المصور أحمد الشيباني برصاص قناص، أو حادثة استهداف المصورين الستة والتي أدت إلى مقتل ثلاثة مصورين وإصابة ثلاثة آخرين بقصف مدفعي قريب شهدته المنطقة الملتهبة في ذلك اليوم.

في حادثة القدسي، المنطقة بعيدة عن خطوط الاشتباكات، لا قناصات، ولا جبهة ملتهبة يستخدم فيها أطراف الحرب، مدافع الهاوون، من المواقع القريبة لبعضها. قتل محمد القدسي بقصف صاروخي.

---

10 | اقتراح، إعادة قراءة وتحليل الفيديو بطريقة فنية وأكثر تفصيلاً.. نوع الرصاص.. المكان.. اتجاه الرصاص التي استهدفت الضحية

أطلقوا الصاروخ الذي قتل المصور القدسي؟

جمع مركز فري ميديا المحتوى البصري الخاص بالقصف الذي طال منطقة الخيامي وأدى إلى مقتل المصور، وخضعت كافة المواد البصرية والمعلومات التي توصلنا إليها، إلى تحليل فني وتقني معمق للوصول إلى الحقيقة.

وقد اعتمدنا على مصادر مختلفة، للتوصل إلى صورة شاملة للحدث بما في ذلك الأخبار والصور التي نشرتها وسائل إعلامية تابعة لجماعة الحوثي لها علاقة بالقصف الذي حدث ذلك اليوم.

تطابقت معالم آثار القصف التي نشرتها قنوات فضائية، منها قناتي بلقيس ويمن شباب المحلتين، وقناة الجزيرة مباشر، فضلاً عن محتوى نشره ناشطون على مواقع التواصل الاجتماعي قمنا بالتحقق منه. -

ومن خلال تحليل عينة من المحتوى البصري، تمكن فريق فري ميديا من تحديد الموقع الجغرافي الدقيق لعمليات.

> **في مقابلة مباشرة مع فريق مركز فري ميديا، يروي الصحفي فواز الحمادي مراسل قناة بلقيس، والذي كان مع القدسي في ذلك اليوم إن القصف في البداية أصاب القرية، وتواردت أنباء عن سقوط ضحايا مدنيين، دفعتهم للذهاب إلى الموقع لتوثيق الحادثة.**

يظهر فيديو آخر لقناة بلقيس الفضائية ظل أحد الأشخاص بالقرب من جثمان أحد الضحايا المدنيين داخل القرية، ويلاحظ قصر الظل عن قامة الشخص بمسافة تقل عن ظل الجندي في الصورة السابقة وبذات الميلان. تحليل تلك المعطيات عبر الأداة السابقة يشير إلى أن الوقت التقريبي لالتقاط الفيديو كان عند الساعة **11:18** صباحاً.

في 22 كانون الثاني/ يناير 2018 نشرت وسائل الاعلام التابعة للحوثيين، خبراً يفيد بإطلاق صاروخ بالستي على معسكر الخيامي، كما نشرت قناة المسيرة الفضائية، التابعة لجماعة الحوثي، فيديو يظهر إطلاق صاروخ بالستي من نوع "قاهر **2M**" على المكان بذات التاريخ، ما يؤكد مسؤولية "الحوثيين" عن قصف المنطقة في ذلك اليوم.

كما أظهر مقطع فيديو نشرته قناة الجزيرة مباشر، وفيديو آخر نشرته قناة يمن شباب الفضائية، بقايا النوع الثاني من الذخيرة المستخدمة في القصف على القرية. الهيكل المعدني المتبقي في منطق القصف يرجح أن يكون صاروخ كاتيوشا من نوع "غراد **21 BM**"المتوفر بكثرة في اليمن، حسب ما توصلنا إليه.

من خلال المعلومات المفصلة أعلاه، خلص فريق مركز فري ميديا للصحافة الاستقصائية إلى أن قصفاً متعدداً بصاروخ بالستي من نوع "قاهر **M2**" وصواريخ كاتيوشا نوع "غراد **21 BM**"، أطلقتها جماعة أنصار الله "الحوثيين"؛ في **22** كانون الثاني/ يناير **2018** بين الساعة **11:00** و **12:25**، أصابت قرى منطقة الخيامي والمعهد التقني الصناعي -تتخذه قوات الحكومة يمنية معسكر-في ريف محافظة تعز الجنوبي، وأسفرت عن مقتل **5** مدنيين بينهم المصور الصحفي محمد القدسي.

النتائج النهائية:

أولاً

من المؤكد أن المصورين: أحمد الشيباني، تقي الدين الحذيفي، وائل العبسي، سعد النظاري، محمد القدسي، قد قتلوا خلال تغطيتهم للمواجهات المسلحة بين الحكومة المعترف بها دولياً، والمدعومة من المملكة العربية السعودية، وجماعة الحوثيين المدعومة من إيران،

وأن عملية القتل كانت بنيران حوثية مختلفة حسب البيانات التالية:

1. المصور أحمد الشيباني، استهدفه، بالرصاص، قناص موقع الحوثيين المطل على منطقة الحصب، شارع المرور غربي مدينة تعز، بتاريخ: **16** فبراير **2016**.

2. المصورون سعد النظاري، وتقي الدين الحذيفي، ووائل العبسي، استهدفتهم مدفعية الحوثي مدفعية الحوثي المتمركز على تلة الكرفة، المطلة على منطقة التشريفات شرقي مدينة تعز، حيث البناية المستهدفة بتاريخ **26**/ مايو **2017**.

3. المصور محمد القدسي، قُتل بقصف صاروخي على المعهد التقني في منطقة الخيامي جنوب تعز، وقد أكد الحوثيون إطلاقهم الصواريخ على المنطقة في ذلك اليوم بتاريخ **22** يناير **2018**، تطابقت بقايا الصاروخ التي قتلت المصور القدسي مع مواصفات الصاروخ الذي أعلن عنه الحوثيون

ثانياً

نادرا ما يتم التحقيق في الهجمات ضد الصحفيين، وتحقيق العدالة، ومن المعروف منذ أكثر من تسع سنوات من الهجوم على تقي الدين وزملاءه، لم يتم إجراء أي تحقيق رسمي حتى الآن. وفي هذه الأثناء فُقدت أدلة حاسمة أو دمرت، أو تغيرت بعض مواقع الحرب، ونتيجة لذلك، تضاءلت فرصة تحقيق العدالة بشكل كبير.

ثالثاً

غياب دور سلطات الدولة مثل المباحث الجنائية، والنيابة العامة. وحتى الآن في قضايا القتل هذه باردة ولم يتم فتح تحقيق جنائي من قبل مؤسسات إنفاذ القانون، إدارة المباحث الجنائية والنيابة العامة.

رابعاً

هناك أوجه قصور كبيرة في القدرات واستعداد المجتمع الدولي لحماية الصحفيين (المحليين) ومنع الجرائم المرتكبة ضدهم والتحقيق فيها في الدول التي تعاني من الصراع والتي لديها قدرة وموارد محدودة للقيام بذلك بنفسها.

التوصيات

1 ينبغي مطالبة المدعي العام اليمني أن يفتح فوراً تحقيقاً في الجرائم المرتكبة ضد الصحفيين من قبل جميع الأطراف المتحاربة في اليمن منذ عام **2015**، ينبغي أن يوجه هذا التحقيق إلى الأدوار التي لعبها كل المتورطين بعملية قتل الصحفيين ولا يقتصر على المنفذين فقط، وينبغي لجميع التحقيقات أن تولي اهتماما خاصا لتسلسل القيادة.

2 ينبغي مطالبة الحكومة اليمنية بإنهاء الإفلات من العقاب في الجرائم المرتكبة ضد الصحفيين ومحاكمة المسؤولين عن الانتهاكات الجسيمة للقانون الإنساني الدولي.

3 دعم دعوة لتشكيل فريق عمل دولي مستقل للتحقيق في قضايا قتل الصحفيين، يمكن لفريق عمل التحقيق الدولي المستقل أن يوفر نقطة دخول رئيسية للعدالة في السياقات التي يعيق فيها الفساد أو ضعف المؤسسات أو نقص الموارد التحقيقات التي تجريها السلطات الوطنية. وينبغي أن تتألف فرقة العمل من خبراء في التحقيق والطب الشرعي والقانونيين الذين سيتم نشرهم في مسرح الجريمة أو تقديم أشكال أخرى من الدعم للمحققين الوطنيين. ومن الناحية المثالية، ينبغي أن تنشئ الأمم المتحدة هذا الصك.